

... ومعمرّ الثائر على الكرملين قبل 45 سنة
من أجل مصر السادات والقضية الفلسطينية
(حوار مع القذافي عشية نكرى «5 يونيو 1967 الخامس»)



في حومان مع الرعيين الليبيين أجابوه في عاد مطعون على مسمى ساسا عتيني

المتناهي: هتاك تخزل عن الفضل الفلاسطينية ويجب انهاء حالكه وقفه اطلاق النار

- الصائرة البعيدة المدهى التي شاهدتها السادات وعلمنا انها نظاهرة كانت طابرة غريشيكو وقد عاد بها الى مورسكو
- الاتحاد السوفياتي مسؤول عن تجميع المضيتة ويجب ان يحسبهم هكذا الامم مع
- ليس هتاك من يساعده مصر مثلنا ولا نفع ل ذلك انك اذني حركات اعلامية...



الشيخ القاسم في مكتبه داخل منزله وامامه خالد مطر .

بين أول حوار أجرته مع العقيد معمر القذافي والحوار الثاني قرابة سبعة أشهر. الحوار الأول أملته ظروف ليبيا الداخلية ومفاهيم الرجل الذي يحكم بلده بطريقة تدعو إلى الإعجاب لكن الحوار تشعب فشمّل قضايا أساسية. وفي ذلك الحوار تحدث القذافي عن المقاومة الفلسطينية بمفهوم له بعده القومي المسؤول. وفي ذلك الحوار أطلق للمرة الأولى شعار «قومية العمل الفدائي» شعاراً يرادف «قومية المعركة» التي لا يترك مناسبة إلا ويتحدث في شأنها ولا يترك أي لقاء مع أي حاكم عربي إلا ويناقشه.

أما الحوار الثاني الذي أجرته على مدى ساعتين مع العقيد القذافي بعد ظهر الخميس الأول من يونيو/حزيران 1972 فأملته ظروف عربية. فنحن غداً نودع سنة أخرى من الهزيمة لنبدأ سنة جديدة. ولهذه المناسبة لا بد من حاكم شجاع يتحدث بصراحة. إذًا، فإن الحوار الثاني ينطلق من «5 يونيو الخامس» ليشمل قضايا الساعة العربية والليبية.

أكثر صراحة... وأكثر وإنطلاقاً

وفي الحوار الثاني كان العقيد القذافي أكثر صراحة وأكثر إنطلاقاً، أو إنه كذلك دائماً لكن مشاعري هي التي تبدلت، ذلك أنني في الحوار الأول توقفت عند حواجز فرضتها طبيعة كوني أقابل القذافي وأتحدث إليه للمرة الأولى. أما في الحوار الثاني فإن الرهبة كانت خارج جلستنا ربما لأنني عرفتُ الرجل أكثر. وأذكر هنا أنه خلال إنعقاد المؤتمر الوطني الأول لـ «الإتحاد الاشتراكي العربي الليبي» في أبريل/نيسان 1972 قلتُ للعقيد: هل يمكن أن نتحدث عن سراب المعركة ما دمنا على أبواب الذكرى الخامسة لحرب 5 يونيو/حزيران 1967؟ وكان جوابه: نتحدث عن ذلك في الوقت المناسب. ومنذ ذلك الوقت وأنا أهيء لهذا الحديث.

نحو الرابعة بعد ظهر الخميس (1 يونيو 1972) توجهتُ إلى مبنى مجلس قيادة الثورة في باب العزيزية وفي ظني أن الحوار سيتم مع العقيد القذافي في مكتبه، لكن أحد مساعدي العقيد نقلني من مبنى «مجلس قيادة الثورة» إلى منزل متواضع يبعد حوالي كيلومتر عن المبنى. قال لي: سيستقبلك العقيد في منزله.

وفي ذلك المنزل غرفة خاصة يستعملها العقيد مكتباً له. فيها طاولة عادية عليها أوراق وكتب. وفي الغرفة الصغيرة طاولة فوقها خمس آلات هاتف. وفي الغرفة راديو وتلفزيون ومكتبة ولوح أسود. وعلى الحائط المقابل صورة الجنرال عيدي أمين رئيس أوغندا. وفي مكان آخر صورة الرئيس الباكستاني ذو الفقار علي بوتو. وفي الغرفة كئبتان وطاولة صغيرة. وعلى مدخل الغرفة بيانو قديم وقطة تروح وتجيء.

وكان في الغرفة طفل تبين أنه ابن الرائد محمد المقريف عضو «مجلس قيادة الثورة» الذي كان في ذلك الحين في زيارة عائلية للقذافي. ثم سمعتُ أصوات أطفال آخرين وفهمت أنهم أبناء بعض أعضاء «مجلس قيادة الثورة» جاءوا مع آبائهم أو أمهاتهم ليمضوا بعض الوقت في منزل العقيد.

كان العقيد يرتدي - كما هي العادة في معظم الأوقات - ثياباً كاكية وأمامه بعض التقارير التي لم يتسنَّ له الإطلاع عليها وهو في مكتبه الرسمي.

5 يونيو 1967 «يوم مذل وعيد للعدو»

قلت له إن الهدف من هذا الحوار هو الوقوف على مفاهيمك بالنسبة إلى المعركة. ومناسبة هذا الحوار هي «5 يونيو الخامس»، ولكن ما دامت هنالك قضية مستحدثة ومتصلة أصلاً بحرب يونيو، فما رأيك لو حدّثنا قليلاً عنها؟ وأجاب: أي قضية تقصد؟ قلت له: عملية مطار اللد الذي قام بها فدائيون يابانيون ينتمون إلى «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» أو أنهم يتعاطفون معها، والتهديدات التي وُجّهت إلى لبنان من اسرئيل بعد قليل من وقوع العملية. رد بإقتضاب: ما دام الذين قاموا بالعملية ليسوا عرباً وليسوا فلسطينيين فإنني لا أريد التحدث عنها. قلت: لكن للقضية بُعداً دولياً نتلمسه للمرة الأولى في تاريخ القضية الفلسطينية، ثم إن حجة إسرائيل من خلال تهديداتها للبنان واهية، ألا يمكن أن نعرف رأيك في هذا البُعد. وكرر العبارة نفسها: ما دام الذين قاموا بالعملية ليسوا عرباً وليسوا فلسطينيين فإنني لا أريد التحدث عنها.

إذاً، فلنتحدث عن «5 يونيو الخامس»

قلت للعقيد: يهنا الوقوف على مفهومك بالنسبة إلى هذه الذكرى.

أجاب: هذا عيد للعدو، ويجب أن نصنع عيداً يلغيه. إن يوم 5 يونيو 1967 يوم مذل وكل الأيام التي تلتها إلى الآن متشابهة ما دامت الأرض العربية محتلة.

قلت: لكن الجماهير العربية التي طال إنتظارها تريد أن تسمع لهذه المناسبة كلاماً يطمئنها خصوصاً أنك أصبحت طرفاً أساسياً في المعركة من خلال إستعداد ليبيا ومن خلال المساعدات التي تقدمونها إلى مصر.

أجاب: الجماهير ليست في حاجة إلى كلام. الكلام يبقى كلاماً. الكلام أياً تكن نوعيته ليس أكثر من كلام. كل ما نسمعه هو كلام في كلام. لقد ضاقت الجماهير ذرعاً بالكلام وهي تحتاج إلى العمل. المعركة هي أروع كلام يقال. عدا ذلك كل شيء يبقى كلاماً في كلام. نحن لهذه المناسبة في حاجة إلى من يُكينا وليس إلى من يجعل أسارىنا تنفج بوعده. الجماهير ليست في حاجة إلى كلام مهما تفنن المتكلم والمتكلمون ومهما كانوا بارعين في إختيار الألفاظ. الذي يستطيع أن يعمل للتحريض هو الذي يكون قدّم شيئاً إلى الجماهير. عدا ذلك كله كلام في كلام في كلام. إن لدى بعض الحكام العرب قناعات بأن المشكلة هي مشكلة أرض إحثلت عام 1967. نحن نرفض هذا المنطق. المشكلة في نظر ليبيا بدأت مع اللحظة التي تم فيها تسليم فلسطين لليهود.

إننا نرى نوعاً من التخلي عن فلسطين. الحكام العرب متخلون على ما هو ظاهر عن فلسطين. لا أحد يتكلم عن القضية. إنهم يتكلمون عن آثار العدوان، ويارينغ. هل إن يارينغ يستطيع إخراج إسرائيل من فلسطين؟

الوضع القاتل والإنتظار الطويل

قلت: لقد ضاقت الجماهير العربية ذرعاً بالإنتظار. إلى متى ستنتظر هذه الجماهير. وإلى متى ستظل موعودة بالمعركة... مجرد وعد يتأجل في إستمرار؟

أجاب: ليس هنالك من يستطيع أن ينتظر. يمكن قضايا تعيشها الأمم أو أزمات تعترضها أن تستمر سنين طويلة إلا أننا في وضع قاتل. الوضع الذي نعيشه وضع قاتل بكل ما في الكلمة من معنى.

قلت: إن الرئيس السادات يعد في إستمرار بالمعركة ولا تقوم المعركة وهذا خلق ردود فعل لدى الجماهير العربية التي تتطلع نحو مصر، يمكن وصفها بأنها ردود فعل مخيبة. ألم تتحدث إلى الرئيس السادات في هذا الشأن وهل عالجت أو ناقشت معه موضوع الوعود المستمرة بالمعركة؟

أجاب: مفتاح القضية في يد الرئيس السادات. والكلام الذي يقوله نسمعه ونتمنى أن يتحقق.

هناك إستعداد للمعركة... لماذا لا تبدأ

وسألت العقيد: هل من خلال ما تملكه من معلومات عن الوضع العسكري العربي ترى أن هناك إستعداداً للمعركة؟

وأجاب: هناك إستعداد أكثر من أي وقت مضى. وهناك دول عربية إستجابت لنداء قومية المعركة، وأنا لن أعلن ذلك إلا بعد أن يكون حدث شيء حقيقي.

وسألت ما الذي يقصده بـ «الشيء الحقيقي».

وأجاب: أي أن تضع هذه الدول موضع التنفيذ ما وعدت به.

وأضاف: لا أعرف ما الذي يعطل المعركة الآن وما هو الذي عطلها في السابق. لماذا لا تبدأ المعركة. هناك أجنبي يقف فوق أرضنا ويحتلها. يجب أن لا ندعه واقفاً. ليس هناك مبرر لتوقّف إطلاق النار. وليس هناك مبرر، أي مبرر، لعدم مقاتلة هذا الأجنبي.

هناك إستعدادات حربية لكن هذا لا يمنع من أن نقاتل العدو والإستعدادات مستمرة. هل المعركة توقف الإستعدادات؟ أبداً. يجب إنهاء وقف إطلاق النار ومقاتلة العدو الذي يحتل أراضينا. يجب أن نقاتله ولو بالحجار.

وسألت: هل يمكن إعطاء فكرة عن حجم المساعدات التي تقدمونها إلى مصر من أجل المعركة؟

أجاب: نحن ندعم مصر لكي تقف ويكون إستعدادها للمعركة كاملاً. ولن أدخل في التفاصيل إلا أنني أريد أن أوضح حقيقة مهمة هي أنه ليست هنالك دولة عربية تقف الموقف الذي نفقه من مصر. وليس هنالك دولة عربية تقدّم إلى مصر ما تقدّمه ليبيا. لماذا نفعل ذلك؟ هذه نقطة أريد أن تكون واضحة للجميع. إن شعورنا حيال مصر جدي ونحن لا نساعدنا لكي نتفادى حملة إذاعية أو صحافية علينا ولا لكي نمتص رغبات محلية. أبداً. نحن نرى أن مصير مصر هو مصيرنا. ونحن نرى أن المعركة هي معركتنا نحن أيضاً وليست معركة مصر كما يتصور بعض الحكام العرب وكما يفعلون.

ومن هذه النقطة قلت للعقيد: ألا ترى أن القضية ونحن في ذكرها الخامسة مائة في إستمرار. ألا يكفي

الإنتظار في ظل حالة اللاحرب واللاسلام. وهل أنت من الذين يرون جدوى في إستمرار هذا الوضع المتأرجح؟

وأجاب: أنا ضد إستمرار وقف إطلاق النار. يجب أن نحارب ولا أدري ما الذي يمنعنا من بدء المعركة. ولكن لا بد من وضع نقاط على الحروف بالنسبة إلى هذا الوضع المتأرجح. إنني أرى في كثير من القناعة أن الإتحاد السوفياتي هو الذي يمتنع الموقف.

كيف؟ سألت القذافي.

وأجاب: إن الإتحاد السوفياتي هو الذي مئع القضية لأن المتعاملين معه - وبالذات مصر - لم يعودوا يعرفون إذا كانوا سيحصلون على ما يطلبونه من سلاح بعد شهر أو خمسة أشهر مثلاً. إنهم يطلبون السلاح ولا يعرفون متى سيوافق الإتحاد السوفياتي على الطلب. كذلك فإنهم لا يعرفون إذا كان الإتحاد السوفياتي سيقدّم السلاح الهجومي أو لن يقدّم. إنه يفعل ذلك وما زال صديقاً للعرب، لكن أسلوبه هذا جعل القضية مائعة وضائعة في الضباب الدولي. إن العرب يتصورون أن الأزمة تهمة كما تهمننا. ومن يدري فقد تكون أزمة الشرق الأوسط تحمل الرقم 10 وربما الرقم مئة في قائمة الأزمات التي هو من بعيد أو من قريب طرف فيها. إن أزمة الشرق الأوسط من القضايا التي تهمة الإتحاد السوفياتي لكنها ليست القضية الأولى ومن هنا هذه البلبلة والميوعة.

الحسم هو العلاج... كذلك الموضوع

وهل من علاج؟ قلت؟

أجاب: الحسم هو العلاج. الموضوع هو العلاج. إن العلاقات العربية مع الأصدقاء والأعداء يجب أن تُحدّد بوضوح.

قلت: لكن الإتحاد السوفياتي كما يقول المسؤولون في مصر وعلى رأسهم السادات قدّم إلى مصر كل ما طلبته، ثم أظنك سمعت أو قرأت أو بلغك إنه خلال زيارة وزير الدفاع السوفياتي الماريشال أندريه غريشكو قبل أسبوعين إلى القاهرة حضر مع الرئيس السادات في إحدى القواعد الجوية عرضاً جدياً ظهرت فيه طائرة متطورة شغلت بال الإسرائيليين ويُعتقد أنها ميغ 23 حتى أن وسائل الإعلام المصرية جازمت في ذلك.

رد: الإتحاد السوفياتي دولة كبرى تبحث دائماً عن الدعاية وعن أوراق في يدها تلعبها عند الضرورة. لقد جاء غريشكو إلى القاهرة قبل أيام قليلة من زيارة الرئيس نيكسون لموسكو. وكان الحديث عن الطائرة البعيدة المدى مبالغاً فيه. كان الحديث تظاهرة. تظاهرة كبرى. الطائرة. الطائرة. الطائرة. الصحف تكتب عن الطائرة. الإذاعة تتحدث عن الطائرة. التلفزيون أيضاً. الناس أصبحوا لا يتحدثون إلا عن الطائرة المتطورة التي شاهدها السادات وغريشكو في عرض جوي خاص. وبدأوا أيضاً يشغلون أنفسهم في تفسيرات. وبدأوا يتوقعون المعركة بين لحظة وأخرى ما دامت الميغ 23 وصلت إلى مصر.

وأضاف وهو يبتسم: لكن الطائرة التي عملنا لها تظاهرة إعلامية ضخمة هي الطائرة التي أقلت غريشكو إلى دمشق ثم إلى القاهرة... ثم أخذها معه عندما عاد إلى موسكو من دون أن يترك لنا شيئاً. الذي تركه هو تفاؤل المواطنين ورفع معنويات غير مبنية على أسس. لقد عملنا للطائرة دعاية أضرت بقضيتنا كثيراً، في حين أنها جعلت موقف السوفيات قوياً في محادثاتهم مع نيكسون.

الموضوع على حاله مع السودان

قلت: ألا تبحثون موضوع العلاقة مع الإتحاد السوفياتي عندما تعقدون إجتماعات مضيقة وموسعة، أنتم الحكام العرب المتجانسون؟

أجاب: في استمرار نبحث الموضوع. وفي استمرار الموضوع على حاله.

نُشر هذا الحوار في صحيفة «النهار» - لبنان

بتاريخ الأحد 4 يونيو/حزيران 1972